

ما هي الأسباب السريّة التي دَفَعَت ابن سلمان لاختصار زيارته للكويت



السُّؤَالُ الأكبر الذي يتردّد حاليًّا في مُعظَم الدِّيوَانِيَّاتِ والمَجَالِسِ الكُوَيْتِيَّةِ والخليجيَّةِ يَدورُ حولِ الأسبابِ التي دَفَعَت محمد بن سلمان وليَّ العَهْدِ السعوديِّ إلى تأجيلِ زيارته إلى الكُوَيْتِ يَوْماً واحِداً، أي من السَّبَبِ إلى الأُحد، ثُمَّ اختصارها في سَاعَتَيْنِ فقط، اقتصرت على لقاءٍ قصيرٍ بينه وبين نائب الأمير كان صَاحِباً حَوْلِ القضايا الخِلافِيَّةِ، ودَحَلَ عشاءَ رسميٍّ أَقامَهُ أميرُ الكويت صباح الأحمَدِ على شَرَفِهِ لم يَطُلْ ووُصِفَ بأنَّه كان "بارِداً"، ولم يتم خِلاله أي تَطَرُّقٍ للقضايا التي كانت مُدرِجَةً على جَدولِ البَحْثِ، وتَهمَّها حلُ الأزمَةِ بين البِلَدَيْنِ المُتَعَلِّقَةِ بوقفِ الإنتاجِ في حَقْلِيٍّ الذِّفْطِ المُشْتَرَكَيْنِ، الخفجي والوَفرَة في المِنطَاقَةِ المُحَايِدَةِ منذ عام 2014، بِقَرَارٍ من الجَانِبِ السعوديِّ، وكذلك الأزمَةِ الخِليجيَّةِ، أو بالأحرى الأزمَةِ القطريَّةِ، وإن كانت الأخيرة ثانويَّةً وروتينيَّةً، وتراجعت أهميَّتها بِشَكْلٍ واضحٍ لإصرارِ المُعسكَرَيْنِ المُتَخَصِّمَيْنِ فيها على مَواقِفَهما، ورَفَضِ أيِّ تَنَازُلٍ.

وسائلُ التواصُلِ الاجتماعيِّ، وخاصَّةً الكُوَيْتِيَّةُ مِنْهَا، ازدَحمت بالتفسيرات التي تَدورُ كُلُّهَا حولِ فَشَلِ الزَّيَّارَةِ، و"غَضَبِ" وليَّ العَهْدِ السعوديِّ بسببِ عدمِ تَجاوُزِ حُكُومَةِ الكُوَيْتِ مع "إِملاءاتِهِ"،

حسب وصف مُعْطَمِهَا، الأمر الذي دَفَعَ وزارة الخارجية الكويتية إلى إصدار بيانٍ اليوم عبّرت فيه عن أسَفِهَا لما جَرى تداوله في وسائل الإعلام من مَعلُومَاتٍ حول زيارة الأمير السعودي، وقالت أنّها لا أساسَ لها مِنَ الصَّحَّة، وأكّدت البيان أنّ المُباحثات بين الوَفَدَيْنِ السعوديِّ والكويتيِّ اتَّسَمَت بالرَّوْحِ الأخويَّة الحميمة بين البلدين.

الأمر المُؤكَّد أنّ هَذِهِ اللَّيْلَةَ الدَّيْلُومَاسِيَّةُ الكويتية لم تُقْنِعِ الكَثِيرين في الكويت أو السعودية معًا، خاصَّةً أنّ زيارة الصَّيْفِ السعوديِّ التي هي الأولى مِنْ نَوَعِهَا كانَ مِنَ المُقَرَّرِ أن تستمرَّ لِيَوْمين وليس لساعتين، وكان الجانب السعودي يُعَوِّلُ عليها كثيرًا لإحداث اختراقات في المَوْضُوع الأهم المُدرَج على جدول أعمالها، وهو التَّوصُّلُ إلى تَسْوِيَةٍ مُرضِيَةٍ بِشأن استئناف الإنتاج مِنَ الحَقْلين المذكورين، فالأمير بن سلمان كانَ مِنَ المُقَرَّرِ أن يَلْتَقِيَ على هامشِهَا وفُدًا مِنْ رِجَالِ الأعمال، وحَشَدٍ مِنَ السِّيَاسِيِّينَ والبرلمانيين والإعلاميين.

مصدر في الديوان الأميري الكويتي قال في تَسْرِيَّاتٍ لوكالة "رويترز" العالمية، أنّ أجواء الزَّيْرَةِ كانت مُتَوَتِّرَةً للغاية، ولم يتم التَّوَقُّع على أيِّ اتِّفَاقِيَّةٍ اِقْتِصَادِيَّةٍ أو سِيَاسِيَّةٍ بين الجانبَيْنِ، بينما ذكرت مصادر كويتية عالية المُستوى لـ"رأي اليوم" أن علامات الغَضَبِ و"التَّهَجُّمِ" كانت بادِيَةً على وَجْهِ الأمير الصَّيْفِ والوَفَدِ المُرافقِ له، ولم يتبادل مع أمير الكويت إلا كلمات محدودة ذات طابَعٍ عُمُومِيٍّ، وأنَّه توجَّه إلى طَائِرَتِهِ الخاصَّة مع الوَفَدِ المُرافقِ له فور انتهاء مَأْدُوبَةِ العِشَاءِ، مُغَادِرًا إلى الرياض.

في مِثْلِ هَذِهِ الزَّيْرَاتِ الرِّسْمِيَّةِ عالية المُستوى، يتم إرسال وفد من المَسْؤُولين والخُبراء في المَوَاضِعِ المَطْرُوحَةِ على جَدْوَلِ البَحْثِ، لإعداد مُسَوِّدَةٍ الاتِّفَاقَاتِ التي من المُفْتَرَضِ أن يتم توقيعها مِنْ قِبَلِ الأمير الزائر، وأمير الكويت، أو من ينوب عنه، ولكن الجانب الكويتي رفض الصَّيْغَةَ السَّعُودِيَّةَ المَطْرُوحَةَ، حسب المصدر الكُوَيْتِيَّ نفسه، الأمر الذي أدَّى إلى تأجيلِ الزَّيْرَةِ يَوْمًا واحدًا من السبت إلى الأحد على أَمَلٍ أن يتم إزالة العَقَبَاتِ وجوانِبِ الخِلافِ، ولكن هذا التَّأجِيلُ لم يُغَيِّرْ مِنَ الأَمْرِ شَيْئًا، وأصرَّ كُلُّ طرفٍ على مَوْقِفِهِ، وتَرَدَّدَ أن الأمير بن سلمان فكَّرَ في إلغَاءِ الزَّيْرَةِ كُلَّيًّا، بعد أن أبلغه السيد عادل الجبير، وزير الخارجية، الذي وصل إلى الكويت يوم الأحد، وقبل وصول وليِّ العهد بساعات، أنّ الجانب الكويتي رَفَضَ المَطَالِبِ السَّعُودِيَّةَ، ولوَّح باللَّجُوءِ إلى التَّحْكِيمِ الدَّوْلِيِّ مُجَدِّدًا.

الأزَمَةُ بدأت بين السعودية والكويت حَوْلِ الحَقْلَيْنِ المذكورين عام 2014 عندما رفضت الكويت

إعطاء تأشيرات دخول لفدنيين من شركة شيفرون، جاءوا من أجل الاشراف على صيانة الحقلين، وزيادة طاقتهما الإنتاجية، والتّنقيب في المنطقة، ووضعت شركتهم مُعدّاتها داخل المنطقة التّجارية لها (أي الكويت) ودُونَ التّشاور مع الحكومة الكويتية، فردّت السّلطات السعودية بوقف الإنتاج من الحقلين (الخفجي والوفرة) بحُجّة إجراء صيانة لهما ودُونَ التّشاور أيضًا مع الشّريك الكويتي، واستمرّت هذه الصّيانة أربع سنوات، وأدّى إغلاق الحقلين إلى خسارة الكويت أكثر من 18 مليار دولار سنويًّا وليس 10 مليارات، مثلما أشارت بعض التقارير المُسرّبة، هو قيمة حصّتها التّقديرية.

زيارة الأمير بن سلمان إلى الكويت جاءت في إطار الضّغوط التي يُمارسها الرئيس الأمريكيّ دونالد ترامب على السعودية لضخ مليونيّ برميلٍ إضافيين (إنتاج السعودية الحاليّ 11 مليون برميل يوميًّا)، لدفع أسعار النّفط إلى الهبوط، واتّصل الرئيس الأمريكيّ مرّتين بالعاهل السعودي حاملاً هذا الطّلب وبطريقةٍ "وَفِحَةٍ"، الأولى قبل شهرين ولتعوّض أي نقص في الأسواق العالميّة في حال توقّف صادرات النّفط الإيرانيّة (حواليّ 2.4 مليون برميل يوميًّا) نتيجةً للحظر الأمريكيّ الذي سيبدأ أوائل شهر تشرين الثاني (نوفمبر) القادم، والثانية قبل يومين فقط، ولتحقيق الهدف نفسه، وكانت المُكالمة الأخيرة ذات طابعٍ تهديديٍّ ابتزازيٍّ عُنوانه الأبرز رفع الحماية الأمريكيّة عن السعودية التي لولاها لَمَا استمرّ النّظام السعوديّ في الوجود، ووصلت الوفاة بترامب إلى درجة القول في المُكالمة "أيّها الملك ربّما لن تكون قادرًا على الاحتفاظ بطائرتك لأنّ السعودية ستتعرّض لهجوم، لكنّ مَعَنّا أنتم في أمان تام".

الحكومة السعودية التي يقول الخبراء أنّها لا تستطيع إنتاج أكثر من مليون برميلٍ إضافيٍّ يوميًّا لأسبابٍ لوجستيةٍ، وجدت في الحقلين المُشتركين مع الكويت في المنطقة المُحايدة أحد الحلول، أي إضافة 500 ألف برميل يوميًّا إلى الأسواق، ممّا يُساعد في تخفيض الأسعار، وبحيث تأتي هذه الزّيادة بشكلٍ طبيعيٍّ، ويُمكّنها من تجنّب غضب الدّول المُنتجة الأخرى التي اتّفقت في لِقَاء الجزائر التّشاوريّ قبل أسبوعٍ على مُستوى وزراء النّفط في مُنظّمة "أوبك" والدّول المُستقلّة على تجميد الإنتاج وعدم زيادة أي برميلٍ إضافيٍّ.

العلاقات بين السعودية والكويت لم تَكُن جيّدةً طووال الأشهر الـ 15 الأخيرة، ويغلب عليها طابع "المُجاملة" بسبب اتّخاذ الحكومة الكويتيّة موقِفًا مُحايدًا في الأزمنة الخليجيّة، وعدم إرسالها قوَّاتٍ بعددٍ كبيرٍ للقتال في حرب اليمن في صُفوفٍ "عاصفة الحزم"، وكان دور

طائراتها المُقاتلة رَمزيًّا، وزادَ التَّوتُّرُ في العَلاقات عِندما أبَقَت الكويت عَلاقتها مع إيران، وأدانَت هُجوم الأحواز الذي أدَّى إلى مَقْتل وإصابة 85 عَسكريًّا ومَدَنِيًّا، ووصفته بِالعَمَل الإرهابيِّ، بينما لم تُدِنه الإمارات والسعودية وأيُّدِتاها بِشَكْلٍ غير مُباشِر، وعبر تَوظيف أَجهزَتها الإعلَامِيَّة في تَبريرِهِ، واستضافَة مُعلِّقِي نُؤيِّدونه ويَعتبرونه مُقاوِمَةً مَشرُوعَةً وليسَ إرهابًا.

الكويت التي يُعرَف عن أميرها الشيخ مُباح الأحمد "كَطَم الغَيْظ"، تبنَّى دِبلوماسِيَّةَ التَّهَدِئةِ وعَدَم المُواجَهة، خاصَّةً مع الجارِ السعوديِّ، وتَجَنَّب أيَّ تَصعيدٍ في الخِلاف، ولكن مساحة الحُرِيَّة الكَبيرة التي يَتمتَّع فيها الإعلام الكُويتي، ربَّما تَكرِّس هَذِهِ القاعِدة، خاصَّةً أن هُنَاكَ جِهات كُويْتِيَّة غير رَسمِيَّة لا تَكنُّ الكَثِير من الودِّ لِلسُّلطات السَّعودِيَّة، ولن يَكون مُفاجِئًا بالنِّسبةِ إلى الكَثِيرين إذا ما جَرى تَسريب الكَثِير من الوَقائع السَّريَّة حول زيارة الأمير بن سلمان للكويت، والخِلافات التي أدَّت إلى اختصارِها وعَدَم التَّوصُّل إلى أيِّ اتِّفاق.

تَوَتُّر العَلاقات بين السَّعودِيَّة والكويت إذا ما استمرَّ ربَّما يَنعَكِس سَلبيًّا على الوِساطة الكُويْتِيَّة في الأَزمَة الخَلِيجِيَّة، إن لم يُؤدِّ إلى تَجميدِها، إن لم يَكنُّ إنْهائِها، ويعتقد مُراقِبون أن هَذَا التَّوتُّر يُلحِق الضَّرر بِالجانِب السَّعوديِّ أَكْثَر من نظيرِهِ الكُويْتِيِّ، لأنَّ السَّعودِيَّة والأمير محمد بن سلمان، بِحاجةٍ إلى إرضاءِ الحُكُومة الأمريكيَّة لتَجَنَّب أيَّ مَطبَآتٍ في طَريقِ مَسيرَتِهِ المُتسارِعة لِتولِّي العرشِ خَلْفًا لوالِدِهِ، وعَدَم استئْنافِ ضَخِّ النِّفط مِن الحُقُول المُشْتَركة قد يُعطِي نَتائِجَ عَكسِيَّة، وفي الوقتِ نَفْسِهِ يُريد وليَّ العَهد السَّعوديِّ الحُصولَ على المَزِيد مِن الأموال لِتَغطِيَّة الإنفاقِ الحربيِّ البَاهِظ التَّكاليفِ النَّاجِمِ عن حَرْبِ اليَمَن، وربَّما تمويلَ عَمليَّةِ إعادَةِ الإعمارِ في سورِيَا، خاصَّةً في مَنطَقة شَرْقِ الفُراتِ الخارِجَة عن نِطاقِ السَّيَاة الرَسمِيَّة بِطَلَبِ أَمريكيٍّ، فالأمير بن سلمان كان يُعَوِّلُ على بَيعِ حِصَّةٍ في شَرِكة أرامكو لِتَعوِيضِ أيِّ عَجزٍ في المِيزانِيَّة، ولكن بَعْد "تَجميد" هَذِهِ الخُطوة لِأسبابٍ ليسَ هُنَا مَجالَ ذِكْرِها، باتَ البَحْثُ عن مَصادر أُخَرَى لِلدَّخْلِ أَمْرًا حتميًّا، ولَعَلَّ إعادَةَ الإنتاجِ في حُقُولِ الخُفْجِي والوُفَرَة في المَنطَقة المُحايدة مُنافِةً هُوَ أَحَدُ الحُلُولِ، إن لم يَكنُّ الحَلُّ الوَحيدُ في الوَقْتِ الرَّاهِنِ.

الطُّرُوفُ المُحيطَة بِزِيارَةِ الأمير بن سلمان للكويت، والضُّغُوطُ الأَمريكيَّةُ الابتِزازِيَّةُ الخارِجَة

عَن كُلِّ الْأَعْرَافِ الْأَخْلَافِيَّةِ، وَاتَّسَاعِ الشَّيْخِ الَّذِي بَاتَ يُقَسِّمُ مَجْلِسَ التَّعَاوُنِ الْخَلِيجِيِّ إِلَى مُعَسَّكَتَيْنِ وَاضِحِيٍّ الْمَعَالِمِ، كُلِّهَا مُؤَشِّرَاتٍ عَلَى أَنَّ مَنَاطِقَةَ الْخَلِيجِ تَقِفُ أَمَامَ مُتَغَيِّرَاتٍ خَطِيرَةٍ جِدًّا فِي طِلِّ الْمُحَاوَلَاتِ الْأَمْرِيكِيَّةِ الْمُتَسَارِعَةِ لِتَحْوِيلِهَا إِلَى مَيْدَانِ حَرْبٍ إَقْلِيمِيَّةٍ غَيْرِ مُسْتَبْعَدَةٍ مَعَ إِيرَانَ.

وَقَفَ هَذَا الْإِبْتِزَازُ الْأَمْرِيكِيُّ الْوَقِجَ، وَمُرَاجَعَةُ كُلِّ السَّيَّاسَاتِ وَالْمَوَاقِفِ الَّتِي أُدَّتْ إِلَى تَفَاقُؤِهَا، وَإِصْلَاحِ الْعِلَاقَاتِ مَعَ الْحَاضِنَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَالْخَلِيجِيَّةِ مِنْهَا خُصُوصًا، وَعَلَى أَرْضِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ أَوْلَوِيَّةً سَعُودِيَّةً مُلْحَظَةً تَتَقَدَّمُ عَلَى كُلِّ الْأَوْلَوِيَّاتِ الْأُخْرَى، وَتَضَعُ حَدًّا لِحُرُوبِ الْإِسْتِنْرَافِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ الْمُعْلَنَةِ أَوْ الْمُسْتَتِرَةِ، وَإِلَّا فَإِنَّ الْأَضْرَارَ سَتَكُونُ كَبِيرَةً جِدًّا عَلَى الصُّعْدِ كَافَّةً.